فوائد لغوية

Notes Lexicographiques.

ليلة الحاشوش وليلة الماشوش

La nuit de la Passion et la nuit des Voluptés.

١ — ليلة الحاشوش

الماشوش والحاشوش لفظتان وردتا في كلام الاقدمين من الناثرين والشعراء ولا وجود لهما في دواوين اللغة القديمة ولا الحديثة ولا في اسفار المستشرقين التي وضعوها ليستدركوا فيها مافات كتبة العرب الفصحاء والمولدين.

واول من ذكرها على ما عثرنا عليه من الصحف البيروني في كتابه « الآثار الباقية » عن القرون الخالية المتوفى في رجب من السنة الـ ٤٤٠ للهجرة اذ يقول في ص ٣١١ في كلامه على اعياد النصارى النسطورية ما هذا نقله: «... واما ليلة الماشوش وهي ليلة جمعة زعم الذاكرون لها انهم يطلبون فيها المسيح، فقد اختلفوا فيها، فبعضهم قال: انها ليلة الجمعة الثامنة عشر(١) من صوم ايليا. وبعضهم قال: انها الجمعة التي طلب فيها المسيح وهي الصلبوت وبعضهم قال: انها جمعة الشهداء وهي بعد الصلبوت باسبوع. والترجيح للقول الاول بين الثلثة الاقاويل » اه.

قلنا الكلمة ارمية الاصل من وضع نصارى العرب وهي الحاشوش بحاء في الاول وفي الارمية حاشوشا بالف في الاخر كما هو المألوف في الفاظهم ومعناها المتالم والمفعول والمنفعل والحاس. ويشيرون بذلك الى الجمعة التي تألم فيها المسيح او جمعة الصلبوت التي اشار اليها البيروني في القول الثاني من اقواله وربما توسعوا فيها واردوا بها: كل ليلة يذكر فيها آلام احد الائمة الاقدمين تأسيا للمسيح. هذا هو المشهور عندنا. واليوم يسمي نصارى بغداد هذه الليلة بجمعة الآلام واهل الموصل وما جاورها من البلاد يسمونها بجمعة الحاش

١) كذا اي التاسعة عشرة.

تخفيفا للفظ واهل سورية وفلسطين يسمونها جمعة الآلام او الجمعة الكبيرة او الجمعة الحزينة او الجمعة المقدسة وبالفرنسية Vendredi Saint وبالانكليزية Good Friday فلا جرم ان النساخ الذين نقلوا كتاب الآثار للبيروني وهموا في النقل · واوهم ظاهر لا يحتاج الى تفنيد لجلاء الامر .

٢ـ ليلة الماشوش

على اننا لا ننكر ان كلمة « الحاشوش » وردت في جميع الكتب العربية التي نقلت اسم هذه الجمعة بميم في الاول بدلا من الحاء · وقد وردت في بعض النسخ الماسوس بميم وسينين ونسبوا الى معناها تاويلا قبيحا ولم يكتفوا بذلك بل نقلوا اليوم الى يوم آخر غير جمعة الآلام . وممن ذكر ذلك ياقوت في معجمه في مادة دير الخوات وفعل فعله صاحب مراصد الاطلاع في المادة المذكورة وكلاهما نقل كلام الشابشتي ، وقد صرح ياقوت باسم الشابشتي اما صاحب مراصد الاطلاع فلم يفعل · قال ياقوت في معجم البلداني في المادة التي ذكرناها « دير الخوات ... وعيده الاحد الاول من الصوم (١) يجتمع اليه كل من قرب من النصارى . قال الشابشتي : وفي هذا العيد ليلة الماشوش وهي ليلة يختلط فيها الرجال والنساء فلا يرد احد يده عن شيء » اه .

وما نسبه ظلما بعض الكتبة الى النصارى سبقهم غيرهم الى مثل هذا القول وعزوه الى القرامطة وانت تعلم ان القرامطة نشأوا سنة ٢٦٤ هـ وما بعدها (اي في سنة ٨٧٧) وتعلم ايضا ان الشابشتي توفي سنة ٣٩٠ هـ فتكون هذه الاشاعة قبله باكثر من قرن .

اما ان هذه الاشاعة تنسب الى القرامطة فقد ذكره ابن مقرب في شعره قال :

منا الذي ابطل الماشوش فانقطعت آثاره وانمحى في الناس وانطمسا(٢)

وقال في تفسير هذا البيت « الذي ابطل الماشوش ابو شكر المبارك بن

١) وفي رواية اصح الاحد السابق للصوم .

٢) راجع ديوان ابن مقرب المطبوع في المنيرة في سنة ١٣١٠ وابن مقرب كان في الموصل في سنة ٦١٨ هـ .

الحسن بن ابي مقرب العيوني . والماشوش : بدعة ابتدعتها القرامطة في البحرين وجعلوها دينا وهو : ان يجتمع الرجال والنساء في ليلة عندهم معلومة في السنة ويشعلون الشمع ويقومون ويرقصون ويختلطون وفيهم اخوات الرجل وامه وبناته وعماته وخالاته فاذا استكفوا من الرقص اطفأوا الشمع واختلطوا وقبض كل رجل منهم يد امرأة من الجمع وواقعها ان كانت من محارمه او اجنبية فحين ملك عبدالله بن علي العيوني البحرين وصارت تلك الليلة ركب ابو شكر المبارك وركب معه غلمانه وهجموا على جمع الفساد فضربوهم وسلبوهم ومضوا هاربين . فصار فيهم رجل ضرير فصار يقول : يا مولانا والله ما نحن في شيء مما يضر بدولتكم ، انما هذا مذهب نراه في ديننا فقال له الامير : لئن اجتمع منكم اثنان على هذا الامر لاعملن فيكم السيف لا العصا . فامات هذه البدعة من البحرين فما بقيت فيها تعرف » اه (١)

فترى من هذا الكلام ان ما نسبه بعضهم الى النصارى نسبوه اليهم جورا وظلما اذ هو خاص بالقرامطة ان كانت الرواية صحيحة . على اننا لانصدق ان مثل هذه الليلة وجدت عند قوم او عند اليهود او النصارى . اما المسلمون الذين في سورية ولبنان فانهم ينسبون مثل هذه الليلة الى الدروز ومنهم من ينسبونها الى النصيرية الذين يسمون انفسهم علوية (٢) .

اما اهل العراق والجزيرة من مسلمين ونصارى او يهود فينسبون مثل هذه الليلة الى اليزيدية والشبك والكاكائية وغيرهم من الفرق او المذاهب الخفية . ومنهم من ينسبها ايضا الى الصابئة صابئة البطائح المعروفين اليوم عند العراقيين باسم الصبة .

١) الف أ . دي زمباور كتابا سماه : « دستور الانساب والقرون لتاريخ الاسلام وهو باللغة الفرنسية طبع في هانوفر E. de Zambaur. — Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam 1927. وفيه نقص كثير . ومن جملته عدم ذكر الملوك العيونيين الذين ملكوا البحرين في اواخر ايام القرامطة : فعسى ان ينتبه لذلك المؤلف ويصلح كتابه في طبعة ثانية .

٢) راجع كتاب سوسنة سليمان في اصول العقائد والاديان لنوفل افندي طبع بيروت سنة ١٨٧٦ في الصفحة ٢٤٥ ففيها اشارة دقيقة الى هذه الليلة وانها تكون في يوم الغطاس ونقل من الدروز والنصيرية فرع من القرامطة .

ونحن نقول : ان كل هذه الامور المنسوبة الى اولئك الاقوام من سورية وعراقية لانصيب لها من الصدق ، انما توارثها الناس الناسبون هذه المنكرات الى الاقوام المخالفة لهم في المعتقد من الاراء التي كانت شائعة شيوعا صادقا لانتسابها حقيقة الى الرومان واليونانيين فانه كان عندهم مواسم يطلقون فيها لنفوسهم اعنة الشهوات ويستحلون فيها كل محرم واسمها عندهم الباخوسيات Bacchanalia .

والباخوسيات منسوبة الى الاله باخوس (وباليونانية ديونوسوس Dionysus ابن المشتري وسميلة بنة قدموس) وهو اله الخمر ونشأت هذه الاعياد في وادي النيل ومنها انتقلت شيئا فشيئا الى فنيقية واليونان وايطالية وكانوا يقومون بها في الليل ويجرون فيها من الجلبة والضوضاء ما كان يسمع من بعد بعيد وكانوا يضربون على الطبول والصنوج الفريجية وكان يباح للنساء فقط ان يدخلن فيها وفي نحو من سنة ١٩٨ قبل الميلاد ظهر فيها الرجال في رومة فبسبب وجودهم مع النساء منكرات اية منكرات حتى اضطر مجلس الشيوخ الى منع اقامة تلك الاعياد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٣ — الكفشة عوض الماشوش

وليلة الماشوش غير معروفة اليوم والمشهور الآن على السنة العوام « ليلة الكفشة »(بالفاء المثلثة اي ٧)وكنا كتبنا قبل احدى وثلاثين سنة مقالة في اليزيدية في مجلة المشرق (٢ : ٧٣٢) وذكرنا فيها ما يلي نقله :

« وكل من كتبوا عن اليزيدية ذكروا عنهم امرا منكرا ليس موجودا فيهم قطعا ، بل في شيعة اخرى تسمى الشبك وهذه الفظيعة هي انهم يجتمعون ليلة معينة عندهم في كل سنة عند مدخل مغارة سرية يحيونها في الاكل والشرب والقصف واللهو اكراما « الطاوس الملك » وهي الليلة المعروفة عندهم بليلة « الكفشة » . ثم يختمونها بارتكاب اشنع المنكرات واقبح المساوئ التي يندى لها جبين القلم حياء (راجع كتاب الفاضل ڤيتال كينه ص ٧٧ وغيره) وقد اشاع هذا الخبر نصارى تلك النواحي بدون ان يتحققوا ما يذيعونه عنهم ، بل في سنتهم ان كل امرأة او رجل يزني بشخص اجنبي عن ديانتهم قتلوه ان تمكنوا من اغتياله . وإلا يبسل ولو تاب توبة نصوحا اما الذي يزني بابناء دينه

فيعاقب عقابا شديدا لكن لا يقتل . واذا كان الرجل زنى بامرأة مزوجة فعليه ان يرضي زوجها . اما اذا كانت ثيبا فالمرتكب الاثم يرضي المتولي امرها بحسب حكم الامير . اما اذا وقعت المضاجعة بين الذكور للذكور او بين الاناث للاناث فقتل الاثنين للحال واجب . واذا لا يستطيع افراد الحامة (العائلة) من الفتك بحياة المجرمين لانتباه الحكومة او لاي مانع كان ، يطرد الاثيمان من اليزيدية طردا لا مرد له ويبعدان عن البلاد ومن هنا ترى ان العفة ونزاهة الاخلاق مشهورة عندهم » انتهى كلامنا المذكور في المجلة البيروتية .

وفي سنة ١٩١٣ كتب الفاضل شكري الفضلي (وكان كردي الاصل) مقالة في لغة العرب (٣ : ٣٠٨) قال فيها ما هذا اعادة نصه : « ويحتم عليهم (اي على الكاكائية وهم غير اليزيدية وغير الشبك وقد كتبنا عنهم مقالا ادرجناه في هذه المجلة ٦ : ٢٦٤ الى ٢٦٩) ان يجتمعوا رجالا ونساء في ليلة معلومة من السنة في محل مخصوص يطفئون فيها السرج والاضواء وتسمى عند اهالي تلك الانحاء « ليلة الكفشة » ومن الناس من ينسب هذه الليلة الى اليزيدية ومنهم الى الشبك . (ولعلها كذبة مختلقة) وكانت تعرف هذه الليلة في عصر العباسيين او في العصور المتوسطة « بليلة الماشوش » وقد تركوا هذه العادة القبيحة منذ ان فهموا معنى الاسلام وفرائضه فهما معقولا . . . » اه المقصود من ايراده .

وفي هذه الايام وقع بيدنا رسالة بالعربية واللاتينية وهي في الاصل محاضرة القاها اسقف كلداني اسمه « بهنام » تبحث عن الكرد المسلمين واليزيدية وقد طبعها بعبارتها السقيمة العلامة متى نوربرغ في ليدن سنة ١٨٠٨ م وقد ذكر في الصفحة ٦ منها ما نعيد نقله بعبارته الركيكة قال : « في زمان عيدهم (عيد اليزيدية) الذي يصير مرة بالسنة يبجوا [اي ياتون] مع نسائهم والهداية [والهدايا] الى كنيستهم من الغنم والبقر ويعملوا عيد عظيم حوالين [حول] الكنيسة بالاكل والشرب والغنا والرقص . . . » ولم يذكر اسم هذه الليلة ولم يزد على هذا القدر من الشرع . ولعله فعل ذلك تأثما وتحرجا .

وكنا قد ذهبنا في اشتقاق كلمة الكفشة الى انها من الكفش في لغة العوام العراقيين ومعناها : قبض على شعر رأسه ليؤذيه ، ويقولون : تكافش الرجلان

اخذ الواحد بنؤابة رأس صاحبه وهو التساور في اللغة الفصحى . اما الآن فنعدل عن هذا الراي ونقول : ان الكمشة لفظ فارسي او كردي للكوشة العربية اسم مرة من كلش المرأة يكوشها كوشا وفيها اشارة الى ما يجري من الاعمال المنكرة في تلك الليلة .

وقد ذهب ف . مينورسكي في معلمة الاسلام في مادة شبك Shabak الى « ان الكلمة لعلها مشتقة من « كفش » الفارسية ومعناها الخف . وفي ذلك اشارة الى مايجري بالخف في مدة تلك الليلة » وفي هذا القول من ضعف التأويل ما لا يخفى على كل اديب .

هذا ما تيسر لنا ذكره في هذا الموضوع ومن له زيادة عليه فليتحفنا به .

تصحيح اوهام لبعض الكتاب .

١ـ قال ابن ابي الحديد في ١ : ٤٦ « واما قوله : رانتقل الى منتقله ففيه مضاف محذوف تقديره : الى موضع منتقله » قلت ليس في الكلام مضاف محذوف أبدا لان « المنتقل » ان لم يكن اسم مكان سماعيا فهو قياسي لا محالة والغريب انه نقض قوله بقوله من دون ان يشعر فقد قال في الصفحة ٦٦ من ذلك المجلد « والمعتلف موضع العلف » فاذا جاز له ان يجعل « المعتلف موضع العلف » فلم منع نفسه ان يجعل « المنتقل موضع الانتقال » ؟ هذا من غريب التناقض .

٢ـ وقال الناس كثير « كاتب اول المحكمة الفلانية » و « معلم اول المدرسة الفلانية » ومن المحزن ان نجد مثل هذا الغلط الفاحش مبثوثا ! فمعنى « كاتب اول محكمة » « كاتب المحكمة الاولى » ومعنى « معلم اول مدرسة » معلم المدرسة الاولى » والمقصود خلاف هذا فالصواب « كاتب المحكمة الفلانية الاول » او « الكاتب الاول للمحكمة الفلانية » و « معلم المدرسة الفلانية الاول » او « المعلم الاول للمدرسة الفلانية » .

٣ـ وقالوا « طمنه وزان عظمه والتطمين وزان التعظيم » وليست هاتان الكلمتان عربيتين فالصواب « طمأنه وزان دحرجه وطمأنة وزان دحرجة . فمن يقل « وطمنت نفسه تطمينا » اتبع الشطط والغلط .

مصطفى جواد